

التحرير والتنوير

وجهد الأيمان بفتح الجيم أقواها وأغلظها وحقيقة الجهد التعب والمشقة ومنتهى الطاقة وفعله كمنع . ثم أطلق على أشد الفعل ونهاية قوته لما بين الشدة والمشقة من الملازمة وشاع ذلك في كلامهم ثم استعمل في الآية في معنى أوكد الأيمان وأغلظها أي أقسموا أقوى قسم وذلك بالتوكيد والتكرير ونحو ذلك مما يغلط به اليمين عرفا . ولم أر إطلاق الجهد على هذا المعنى فيما قبل القرآن . وانتصب (جهد) على المفعولية المطلقة لأنه بإضافته إلى (الأيمان) صار من نوع اليمين فكان مفعولا مطلقا مبينا للنوع . وفي الكشف في سورة النور جعله مصدرا بدلا من فعله وجعل التقدير : أقسموا بإٍ يجهدون أيمانهم جهدا فلما حذف الفعل وجعل المفعول المطلق عوضا عنه قدم المفعول المطلق على المفعول به وأضيف إليه . المحكي من فتكون آمنوا الذين كلام من كانت سواء استئناف (أعمالهم حبطت) وجملته A E بالقول أم كانت من كلام الإٍ تعالى فلا تكونه . وحبطت معناه تلفت وفسدت وقد تقدم في قوله تعالى (فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) في سورة البقرة . (يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الإٍ بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الإٍ ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الإٍ يؤتيه من يشاء والإٍ واسع عليم [54]) تقضى تحذيرهم من أعدائهم في الدين وتجنبيهم أسباب الضعف فيه فأقبل على تنبيههم إلى أن ذلك حرص على صلاحهم في ملازمة الدين والذب عنه وأن الإٍ لا يناله نفع من ذلك وأنهم لو ارتد منهم فريق أو نفر لم يضر الإٍ شيئا وسيكون لهذا الدين أتباع وأنصار وإن صد عنه من صد وهذا كقوله تعالى (إن تكفروا فإن الإٍ غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) وقوله (يمينون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الإٍ يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) .

فجملته (يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم) الخ معترضة بين ما قبلها وبين جملة (إنما وليكم الإٍ) دعت لاعتراضها مناسبة الإنذار في قوله (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) . فتعقيبها بهذا الاعتراض إشارة إلى أن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ذريعة للارتداد لأن استمرار فريق على موالة اليهود والنصارى من المنافقين وضعفاء الإيمان يخشى منه أن ينسل عن الإيمان فريق . وأنبا المترددين ضعفاء الإيمان بأن الإسلام غني عنهم إن عزموا على الارتداد إلى الكفر .

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (من يرتدد) بدالين على فك الإدغام وهو أحد وجهين في مثله وهو لغة أهل الحجاز وكذلك هو مرسوم في مصحف المدينة ومصحف الشام . وقرأ الباقون

بدال واحدة مشددة بالإدغام وهو لغة تميم . وبفتح على الدال فتحة تخلص من التقاء الساكنين لخفة الفتح وكذلك هو مرسوم في مصحف مكة ومصحف الكوفة ومصحف البصرة . والارتداد مطاوع الرد والرد هو الإرجاع إلى مكان أو حالة قال تعالى (ردها علي) . وقد يطلق الرد بمعنى التصيير (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) . وقد لوحظ في إطلاق اسم الارتداد على الكفر بعد الإسلام ما كانوا عليه قبل الإسلام من الشرك وغيره ثم غلب اسم الارتداد على الخروج من الإسلام ولو لم يسبق للمرتد عنه اتخاذ دين قبله .

وجملة (فسوف يأتي) الخ جواب الشرط وقد حذف منها العائد على الشرط الاسمي وهو وعد بأن هذا الدين لا يعدم أتباعا بررة مخلصين . ومعنى هذا الوعد إظهار الاستغناء عن الذين في قلوبهم مرض وعن المنافقين وقلة الاكثراث بهم كقوله تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) وتطمين الرسول والمؤمنين الحق بأن الله يعوضهم بالمرتدين خيرا منهم .

فذلك هو المقصود من جواب الشرط فاستغني عنه بذكر ما يتضمنه حتى كان للشرط جوابان